العدد 3807 - السنة الثالثة عشرة
الأربعاء 11 ربيع الأول 1442 - الموافق 28 أكتوبر 2020
Wednesday 28 October 2020 - No.3807 - 13 th Year

ولد في 12 ربيع الأول من عام الفيل

محمد بن عبدالله...خاتم الأنبياء والمرسلين

ولد سيدنا محمد (صلى الله عليه و سلم) في 12 ربيع الأول من عام الفيل (ما يوافق حوالي عام 571 من السنة الميلادية) في مكة في شعب أبي طالب.

إنه النبي الكريم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن عبد مناف، أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف من أشراف مكة. وينتهي نسب النبي الكريم صلى الله عليه وسلم إلى إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام. مات أبوه عبد الله وهو في بطن امه، ولكن الله آوى محمد وجعله في كفل جده عبد المطلب، المعروف بالكرم الكبير وحب الفضل وخدمة البيت الحرام وسقاية الحجاج، أي خدمة الذين كانوا يأتون إلى بيت الحرام قبل الإسلام. ولد محمد بن عبد الله يتيما، في الثاني عشر من ربيع الأول من عام الفيل الموافق لسنة 571م . إن مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم لم يكم مفاجأة للعرب، فقد كانت تدور على ألسنة الناس أقوال تخبر بظهور نبي في ذلك الزمن الذي ولد فيه النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ان الله فضّله على العالمين وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين، معلم البشرية في كل زمان ومكان، لنا في رسول الله أسوة حسنة تعلمنا فضائل الأخلاق وأفضل الأعمال، وهانحن نكمل معكم

لقد خص الله عز وجل نبيه بالرعاية الشاملة منذ اللحظة الاولى لوالدته وهيأ له من الامور ما يؤهل شخصيته لتحمل أعباء الدعوة الخاتمة للرسالات الموجه للعالمين المستمرة إلى قيام الساعة، فلم تكن نشأته يتيما، مرورا بديار حليمة السعدية وحادثة شق الصدر، وحفظه من دنس الجاهلية واشتغاله برعاية الغنم والتجارة وما حبب إليه من الخلوة وغيرها إال منهجا متكاملا في بناء شخصية النبي الخاتم للرسالات المؤهل في كل الجوانب لتحمل الأعباء والصبر على الأذى والجد والمثابرة دون كلل أو ملل إلقامة هذا الدين وتحمل العقبات والقدرة على إحداث التغيير ليكون الدين حاضرا مكتملا أمام البشرية حجة على البشرية حتى قيام الساعة. النبوة ليست أمرا ذاتيا فإذا ما تحقق في النفس البشرية صفات محددة استحق أن يكون أصحابها رسل

لقد تدرجت الرعاية الإلهية للنبي في الكمالات البشرية حتى أصبح مؤهل لتلقي الوحي مع بلوغه سن الأربعين، فهو يصدع بالدعوة فيعلو جبل الصفا واثقا من نفسه متحمال للصعاب، ولم يكن ليتحملها لولا أن الرعاية الإلهية قد آتت أكلها في شخصيته، فاصبح مؤثرا في واقعة، وشق للدعوة طريق النجاح رغم كل الصعوبات والمعيقات، ليصبح إلسالم قوة ودولة في العالم آنذاك في فترة زمنية قياسية.

سيرة سيد الخلق أجمعين نتعرف على حياته ومواقفه ونتعلم منه دروسا تكون لنا دليلا هاما في حياتنا يرشدنا إلى طريق الخير والصلاح.

نشأة الرسول ص

عندما ولدت آمنة محمد صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى جده عبد المطلب الذي فرح بالبشارة فرحا عظيما، ورأى أن الله عوضه عن ابنه عبد الله بحفيده محمد، فأخذه بين يديه ثم دخل البيت الحرام وصار يدعو الله ويحمده كثيرا، ثم سماه محمدا.

اختار عبد المطلب لحفيده الصغير مرضعة ذات أخلاق طيبة ونفس كريمة، وسيرة نقية، هي حليمة السعدية. أخذت حليمة السعدية محمد الطفل الصغير، وكانت في بداية الأمر مترددة، لأنها من أسرة فقيرة، لكنها لم تستطع مقاومة حنانها تجاه محمد. فأخذته وهي مقتنعة بأن الله سيرزقها ويرزقه وعندما أصبح الصبي محمد في أحضانها شعرت بأن اللبن قد ازداد دره في صدرها، وأن البركة أخذت تحل في كل مكان تحمل إليه محمد. لذا سعدت حليمة السعدية بالمولود الجديد، وقررت عدم مفارقته لحظة واحدة، لأنها منذ أن أخذت محمد تغيرت أحوال عيشها فلم تعرف فقرا منذ ذلك الحين.

وعندما بلغ محمد الثانية من عمره صار يذهب مع أبناء مرضعته حليمة السعدية إلى المرعى. ذات يوم رأى أبناء حليمة السعدية ملكين يأخذان محمد الطفل ابن السنتين ويفتحان صدره ثم يستخرجان قلبه، ثم يغسلانه ويعيدانه إلى مكانه. فكانت هذه الحادثة غريبة يعرفها الناس عن محمد صلى الله عليه وسلم، وهي المعروفة بحادثة شق الصدر.

عندما بلغ محمد السادسة من عمره رغب في زيارة قبر أبيه والتعرف على عمومته وأخواله، وحققت له أمه هذه الأمنية فاصطحبته في زيارة قبر أبيه وذهبت إلى المدينة المنورة حيث عرفته على إبن النجار (أخواله). وأثناء عودتها إلى مكة فاجأها الموت ومحمد لم يتجاوز السادسة من عمره. وهكذا أرادت حكمة الله أن يفقد النبي أبويه وهو طفل صغير، فتولى كفالته عمه أبو طالب، الذي كان صاحب عيال، فرباه تربية عفيفة نظيفة نقية، حيث غرس فيه حب الإعتماد على النفس فكان صلى الله عليه وسلم يرعى غنم عمه وهوفي السابعة من عمره وعلمه حب التجارة

إشتغل محمد (صلى الله عليه و سلم) كراع للغنم لمساعدة عمه ثم بعد ذلك بالتجارة. و عرف بين أهل قريش بأمانته فكانوا يلقبونه بالأمين.

مرحلة الشباب

عندما بلغ النبي محمد صلى الله عليه وسلم مرحلة الشباب الأولى، كان قد أتقن في التجارة وعرف بالأمان وحب الخير، والإصلاح بين الناس. وكان في مكة أثرياء لهم أموال كثيرة وتجارة واسعة. وكانوا يحتاجون إلى من يقوم لهم على تجارتهم بين الشام واليمن، ومن هؤلاء إمرأة عظيمة ذات مال كثير وأخلاق فاضلة، مات زوجها وأصبحت وحيدة وتحتاج إلى من يرعى لها أموالها، كان اسمها خديجة بنت خويلد. سمعت خديجة بنت خويلد عن محمد الأمين وسمعت عن نشاطه في التجارة، وآمنته في حفظ الأموال وخبرته ومقدرته وحسن تصرفه فأرسلت إليه وأرادت أن يقوم على مساعدتها ويعمل في تجارتها، فقبل مسرورا

عرضت خديجة بن خويلد على النبي محمد ان يشاركها في تجارتها عندما تيقنت من أمانته وحسن تصرفه، وقدرته على إدارة أمور التجارة بأمانة وصدق. كان الرسول قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره وكانت خديجة بنت خويلد في الاربعين من عمرها. ولما أعجبت خديجة بمحمد وأمانته عرضت عليه أن يتزوجها. فقد كان محمد صلى الله عليه وسلم يتمتع بسمعة طيبة بين العرب جميعا وكانوا يثقون به فضلا عن حبهم له وثقتهم بحكمته.

حياة الجاهلية ونزول الوحي

كانت تسود حياة العرب في شبه الجزيرة العربية الفوضى التي لا حدود لها وكانوا يعبدون الاصنام . كانت هذه الأخلاق الفاسدة لا تعجب النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك اعتزل قومه ولا يشاركهم في تلك الأخلاق، فكان يذهب إلى غار حراء في أحد جبال مكة يقال له جبل ثور. واعتزل النبي محمد قومه في هذا الغار وكان يلجأ إليه ويفضله على الاشتراك في الحياة الجاهلية الظالمة التي تملىء بالآثام والكفر.

ولما بلغ محمد صلى الله عليه وسلم الأربعين وبينما كان يتعبد في غار حراء ذات يوم، نزل عليه ملك عظيم يسمى جبريل، كان جبريل عليه السلام من المقربين والملائكة المرسلين، أرسله الله بالقرآن الكريم مبشرا النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة مكلفا إياه بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى. كان هذا في شهر رمضان المعظم. نزل القرآن الكريم يدعوا الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد، كما قال الله تعالى: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)". ودعا أيضا إلى العدالة ونشر الخير والدفاع عن الحق ورفع الظلم عن المظلومين والصدق في القول وحفظ العهد والأمانة وبر الوالدين. ونهى القرآن الكريم عن القتل والتكبر والكذب والإعتداء على حقوق الناس أو شتمهم أو سبهم، ونهى عن الغيبة والنميمة والفتنة وشهادة الزور، وغيرها من الأخلاق السيئة. عندما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه بما أوحى إليه، وأخبرهم أنه رسول الله إليهم جاء ليبشرهم بالهدى والحق والنور لم يرضى أصحاب المصالح والأهواء وأصحاب النفوذ عن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، لأنهم أحسوا أن هذه الدعوة مع الحق

نشر الاسلام

بدأت دعوة النبي (صلى الله عليه و سلم) إلى الاسلام سرا خوفا من قريش و بطشهم بالمسلمين، و بعد مرور ثلاث سنوات نزل الوحي يأمر بالجهر بالدعوة

بدأ الإسلام بالإنتشار شيئا فشيئا في مكة، و بدأ مع ذلك النزاع بين قريش و المسلمين، و اشتدوا عليهم لسنوات مما جعل محمد يخرج بالمسلمين إلى يثرب بعد أربعة عشر عاما من الدعوة. و هكذا جاءت الهجرة النبوية عام 622 من الميلاد، و استقبله مسلمو المدينة بفرح شديد و سموا بالأنصار لنصرتهم للرسول (صلى الله عليه و سلم)، و سميت يثرب بالمدينة (مدينة الرسول) أو المدينة المنورة.

و من المدينة تأسست دواعم الدولة الإسلامية و استمر نشر الإسلام و فتحت مكة و أسلمت معظم قبائل العرب.

دامت الدعوة إلى الإسلام حوالي ثلاثة و عشرين عاما، نزل فيها القرآن الكريم هاديا و مشرعا للمسلمين حتى نزلت آخر آية في حجة الوداع : الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا.

وفي الرسول (صلى الله عليه و سلم) بعد فترة وجيزة من حجة الوداع بعد أن ألم به المرض. و كان ذلك يوم إثنين من ربيع الأول سنة 11 هـ، الموافق ل 8 يونيو من سنة 632م ، مات الرسول (صلى الله عليه و سلم) و عمره ثلاثة و ستون عاما على حجر زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها و هو يقول: « بل الرفيق الأعلى».

اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، وينتهي نسبه الشريف الى النبي ابراهيم وأمه هي السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف.

القابه: المصطفى، المختار ، الحبيب وله أسماء وردت في القرآن الكريم مثل: خاتم النبيين، والأمّي، والمزمل، والمدثر، والنذير، والمبين، والكريم، والنور، والنعمة، والرحمة، والعبد، والرؤوف، والرحيم، والشاهد، والمبشر، والنذير، والداعي، وغيرها.

ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الإثنين 17 وقيل 12 من شهر ربيع الأول عام الفيل بمكة، وقد مات أبوه وهو في بطن أمه، وتوفيت أمه وعمره ست سنين فكفله جده عبدالمطلب ولما بلغ عمره ثمان سنين توفى جده فكفله عمه أبو طالب وأحسن كفالته، وكان لا يفارقه ليلا ولا نهارا، وصحبه في أسفاره إلى الشام للتجارة، ولما بلغ الأربعين سنة من عمره الشريف نزل عليه الوحي بالنبوة وكان في غار حراء، وأول آية نزلت عليه: (إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق فأخبر خديجة فصدقت به، وأخبر علي بن أبي طالب (ع) فصدق به، وأخذ في نشر دعوته سرا، ثم أعلنها فأسلم جماعة من العرب فعذبتهم قريش وهاجر إلى المدينة بعد أن أسلم جماعة من أهلها، وأخذ في نشر الدعوة وحاربته قريش والعرب فانتصر عليهم وفتح مكة. وبعد أن أكمل نشر دعوته وانتشر الإسلام في جزيرة العرب توفاه الله تعالى.

وقد عاش (ص) ثلاثا وستين سنة، أربعين منها قبل أن يبعث بالرسالة، وثلاثا وعشرين سنة نبيا رسولا قضى منها (13) سنة في مكة و (10) سنين في المدينة.

أخلاقه (ص): إمتاز النبي محمد (ص) بالأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة. فقد كان بعيدا عن كل ما يشين سمعته سواء في أقواله أو أفعاله، متواضعا عفيفا صادقا أمينا حتى لقبته قريش بالصادق الأمين.

وكان (ص) حليما كريما سخيا شجاعا أوفى العرب ذمة، صبورا على المكاره والأذى في سبيل نشر دعوته. وكان لا يغضب لنفسه ولا ينتقم لها، سفيقا لأصحابه كثير التردد إليهم، يقبل معذرة من اعتذر إليه، يحب الفقراء والمساكين ويأكل معهم، قليل الأكل، يختار الجوع على الشبع مواساة للفقراء.

وكان (ص) يجلس على التراب ويرقع ثوبه ويخصف نعله بيده الكريمة.وكان لا يجلس ولا يقوم إلا ذكر الله تعالى. وقد مدحه الله جل جلاله بقوله تعالى " وإنك لعلى خلق عظيم". صدق الله العلي العظيم.

أن محمدا عبده ورسوله وخليله وخيرته من خلقه بعثه الله إلى أهل المعمورة ليجدد به صلة السماء بالارض، فأنزل عليه الكتاب مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه، ختم به الرسل وختم بكتابه الكتب وجعله معجزته الخالدة، فهدى الناس به إلى الصراط المستقيم وحذرهم السبل التي تنتهي بهم إلى الجحيم، وأخرجهم به من الظلمات إلى النور، ومن وحشة القلوب وتقلباتها في أنواع المعبودات إلى انسها وثباتها على عبادة فاطر السموات والرض، قد أعظم الله عليه المنة وأتم به وعليه النعمة إذ بعثه ليتم مكارما الخلق. اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه الذين اختارهم الله لصحبته ونشر سنته، فجعلهم طليعة الخيار، وصفوة البرار، وعلى من سلك سبيلهم وسار على منوالهم مترسما خطاهم، مقتفيا آثارهم، عامر القلب بحبهم، رطب اللسان بذكرهم بالجميل وبالثناء عليهم بما هم أهله والدعاء لهم بما علمنا الله في قوله

– كان يبدأ من لقيه بالسلام، كان إذا لقي أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته عليها.

– كان يجلس حيث انتهى به المجلس، كان يكرم من يدخل عليه حتى أنه ربما بسط ثوبه ليجلس عليه، كان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته، فإن أبا أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل.

– كان يعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه وسمعه وبصره وحديثه.

– كان يدعو أصحابه بكناهم إكراما لهم واستمالة لقلوبهم.

– كان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضاء.

وبكلمة جامعة مانعة كان خلقه القرآن، ولذلك أثنى الله عليه فقال: وانك على خلق عظيم،إذا فمن أراد أن يرى هدي هذا الدين واقعا يعاش فلينظر في سيرة الحبيب صلى الله عليه وسلم،وليدرسها دراسة فهم وتدبر بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم، يكفي أن كل أحد يقول يوم القيامة نفسي نفسي وهو يقول أمتي أمتي.

عرف الرسول الكريم بحسن معاملته لأهل بيته والمعاشرة الطيبة لزوجاته، حيث قال: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي"، حيث كان يساعد أهل بيته في أعمالهم وأمورهم اليومية، ويخيط ثيابه بنفسه، كما كان يتلطف في الحديث مع زوجاته ويدللها، وكان ينادي السيدة عائشة بالحميراء» احمرار لون وجهها. كما أن الرسول أوصى بمعاملة النساء بالحسنى، حيث قال عن الأم: «أمك ثم أمك ثم أمك، ثم أبيك»، اعترافًا بحق الأم والأمر بتكريمها، كما قال عن النساء: «ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم»، كما قال في الحديث الشريف: "استوصوا بالنساء خيرًا". كما حث الرسول الرجال على مراعاة شعور الغيرة لدى الزوجات، والعدل بين الزوجات في حالة التعدد، محذرًا أن الزوج الغير عادل بين زوجاته، سيحاسب يوم القيامة ويميل شقه يوم الحساب. كما أنه اتصف بالعدل بين جميع زوجاته، كما أنه لم يتزوج على السيدة خديجة طوال حياتها، وكان يحترم الكبير ويعطف على الصغير، وكان شديد الحب أحفاده «الحسن والحسين»، حيث كان ينحني يركبان على ظهره.

إن هذا الرجل العظيم الذي استطاع أن يقف أمام العالم أجمع وأمام جهالات قريش وكفرها العنيد وأمام الأصنام وعبادة الكواكب وكل ما يعبد من دون الله وقف يدعو الله وحده لا شريك له ونبذ كل ما سواه ، إنه بحق لجدير بكل تبجيل واحترام ليس فقط من أتباعه بل من كل من يفهموا العبقرية وخصائصها .

إن الصفات التي تفردت في هذا الرسول العظيم لجديرة بأن يحصل على نوط الامتياز ويحظى بكل تقدير واحترام . إنه بحق الأعظم .

فهل بعد ذلك يوجد أي رجل أعظم منه ؟ كلا ، لا يوجد رجل أعظم منه فقد عاش حياته كلها في خدمة البشرية جمعاء وجاء بالدين الخاتم والمسعد لجميع البشر .

إن هذا الرجل العظيم محمد صلى الله عليه وسلم بحق رجل لم تنجب البشرية مثله كيف لا وقد قال عنه الجبار « وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ » .. وقال تعالى «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» .

إذا كانَ الرسول صلى اَللهُ عليه وسلم نعمة أنعم الله به علينا فإنه حريٌّ بنا حينما نتذكر النعمة نتذكر المنعم بها ونشكره عليها. وهذا الشكر يستوجب منا أن نتمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾. فما أعظم هذه النعمة وما أعظمك يا رسول الله وقد منحك الله سبحانه من كمالات الدنيا والآخرة ما لم يمنحه غيره من قبله أو بعده . وقد أعطاه الله في الدنيا شرف النسب وكمال الخلقة، وجمال الصورة وقوة العقل، وصحة الفهم وفصاحة اللسان وقوة الحواس والأعضاء، والأخلاق العلية والآداب الشرعية من: الدين، والعلم، والحلم والصبر والزهد والشكر والعدل والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والسكينة والتؤدة والوقار والهيبة والرحمة وحسن المعاشرة ما لا يستطاع وصفه وحصره.

أما الجود والكرم والسخاء والسماحة فقد خلقت معه منذ أن نشأ عليه الصلاة والسلام، فقد فاق كل كرماء العرب والعجم ووصفه بذلك كل من عرفه: قال جابر رضي الله عنه: ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فقال: لا، وقال ابن عباس رضي الله عنه: كان عليه الصلاة والسلام أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في رمضان. وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة.

أما من أخبار شجاعته صلى الله عليه وسلم فقد حضر عليه الصلاة والسلام المواقف الصعبة وفرّ الشجعان و الأبطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وقال فيه بعض الصحابة: إنا كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى عليه وسلم فما يكون أحدٌ أقرب إلى العدو منه، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً.

وقال ابن عمر: ما رأيت أشجع ولا أبحر ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وما جاء في زهده عليه الصلاة والسلام وتواضعه واختياره الدار الآخرة فكثير منها ما رواه البيهقي والترمذي وابن ماجه عن عبد الله أنه قال: اضطجع النبي صلى الله عليه وسلم على حصير فأثر الحصير بجلده، فجعلت أمسحه وأقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ألا آذنتنا فنبسط لك شيئاً يقيك منه تنام عليه فقال عليه الصلاة والسلام: "مالي وللدنيا، وما أنا والدنيا، إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها".

ومما يشهد على زهده عليه الصلاة والسلام أنه كان يمر الشهر والشهران ولا يوقد في بيت رسول الله نار فقالوا: ما كان طعامكم قالوا: الأسودان التمر والماء.

وأكبر شاهد على تقلله من الدنيا وإعراضه عن زهرتها أنه توفي عليه الصلاة والسلام ودرعه مرهونة عند يهودي ولم يترك قصراً ولا متاعًا كثيراً بل كان بيته متواضعاً ومتاعه في غاية التواضع وكان صلى الله عليه وسلم يوصي بترك التنعم وإياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين.

أما شدة خوفه عليه الصلاة والسلام من الله شدة طاعته وعبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك تمدح ومدح نفسه بقوله: «أنا أعلمكم بالله وأشدكم لله خشية» معناه أنا أكثركم علمًا بصفات الله تعالى ومعرفة بأمور التوحيد والتنزيه والخشية لله تبارك وتعالى، وقال عليه الصلاة والسلام أيضا «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، إني أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون أطت السموات وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك ساجد».

وأما طيب ريحه فقد كان صلى الله عليه وسلم طيباً مطيباً من غير طيب وكانت رائحته الطيبة تفوح على أنواع العطور والطيب، روى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال:"ما شممت شيئاً قط مسكاً ولا عنبرا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن جابر بن سمرة أنه عليه الصلاة والسلام مسح خده قال: فوجدت ليده برداً وريحاً كأنما أخرجها من جؤنة عطار أي كيس العطر.

وكان عليه الصلاة والسلام سواء مس يده أو لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها، وروى البخاري: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه صلى الله عليه وسلم.

وفاة الرسول ص

مرض رسول الله في أواخر صفر سنة 11 هجرية (632 م)، وكانت مدة مرضه في بيت زوجته ميمونة ولما اشتد مرضه استأذن زوجاته أن يمرّض في بيت عائشة فخرج يهادي بين العباس بن عبد المطلب وعليّ بن أبي طالب حتى دخل بيت عائشة وأمر أن يُهريق عليه الماء فصبوه عليه لما كان يشعر به من الحمى، وقال: ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر وهذا أوان انقطاع أَبْهَري من ذلك السمّ، ولما تعذر عليه الخروج للصلاة، قال: مروا أبا بكر فليصلِ بالناس، فقالت له عائشة: يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء، قال: مروا أبا بكر فليصلِ بالناس فعاودته مثل مقالتها، فقال: إنكن صواحباتِ يوسف، مروا أبا بكر فليصلِ بالناس، فصلى بهم سبع عشرة صلاة أولاها عشاء ليلة الجمعة وآخرها صبح يوم الاثنين.

وفي تقديم أبي بكر للصلاة إشارة إلى أنه الخليفة بعده، فقالوا: إن النبي رضيه لديننا أفلا نرضاه لدنيانا؟ غير أن النبي خرج معصوب الرأس لأنه كان يشكو، وجلس في أسفل مرقاة من المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: «يا أيها الناس بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم، هل خلد نبي قبلي فيمن بُعث إليه فأخلد فيكم، ألا إني لاحق بربي وإنكم لاحقون بي فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرا وأوصي المهاجرين فيما بينهم فإن الله تعالى يقول: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ﴾

وإن الأمور تجري بإذن الله ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله، فإن الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد ومن غالب الله غلبه، ومن خادع الله خدعه، فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم بالأنصار خيرا فإنهم الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم، ألم يشاطروكم في الثمار؟ ألم يوسعوا لكم في الديار؟ ألم يؤثروكم على أنفسكم وبهم الخصاصة؟ ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم، ألا ولا تستأثروا عليهم، ألا وإني فرط لكم وأنتم لاحقون بي، ألا فإن موعدكم الحوض، ألا فمن أحب أن يرده عليّ غدا فليكفف يده ولسانه.

وهذه آخر خطبة للنبي فلم يصعد المنبر بعد ذلك اليوم، وقد أوصى المسلمين بالمحبة والاتحاد وصلة الرحم، المهاجرين منهم والأنصار، وهو في أشد حالات المرض ونهاهم عن التقاطع.

ثم أغميَ على رسول الله ورأسه في حجر عائشة رضي الله عنها، وكانت تدعو له بالشفاء وكان يقول: «إن للموت لسكرات»، وقالت فاطمة لما تغشاه الكرب: واكرب أبتاه، فقال: لا كرب على أبيك بعد اليوم.

وفي البخاري من حديث أنس رضي الله عنه: أن المسلمين بينما هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلي لهم، لم يفاجئهم إلا رسول الله قد كشف سَجَف حجرة عائشة رضي الله عنها فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك فنكص أبو بكر رضي الله عنه ليصل الصف وظن أن رسول الله يريد أن يخرج للصلاة، قال أنس: وهمّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحا برسول الله فأشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر، زاد في رواية: فتوفي من يومه، واجتمع حوله أصحابه يبكون، قالت عائشة رضي الله عنها: توفي رسول الله في بيتي وبين سحري ونحري، والمراد أنه توفي وهو في حجرها وكان أبو بكر رضي الله عنه غائبا فسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه سيفه وتوعد من يقول: مات رسول الله مع أنه سمع خطبة رسول الله التي قال فيها: «يا أيها الناس بلغني أنكم تخافون من موت نبيّكم، هل خلد نبي قبلي فيمن بعث إليه فأخلد فيكم، ألا إني لاحق بربي».

فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حين بلغه الخبر إلى بيت عائشة رضي الله عنها فكشف عن وجه رسول الله فجثا يقبله ويبكي ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر رضي الله عنه جلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ثم قال:ألا مَن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومَن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وقد قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ﴾ ، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ ، فنشج الناسَ يبكونَ رواه البخاري، فكان أجزع الناس كلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما سمع قول أبي بكر قال: فوالله لكأني لم أتل هذه الآية قط.

وقوف أبي بكر هذا الموقف يدل على رباطة جأشه عند الكروب وضبط النفس وعلى حكمته وشجاعته، فإن رسول الله لما توفي طاشت العقول فمنهم من خبل، ومنهم من أقعد ولم يطق القيام، ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام، ومنهم من أضنى وكان عمر رضي الله عنه ممن خبل، وكان عثمان رضي الله عنه ممن أخرس فكان لا يستطيع أن يتكلم، وكان عليّ رضي الله عنه ممّن أقعد فلم يستطع أن يتحرك، وأضنى عبد الله بن أنيس فمات كمدا وكان أثبتهم أبو بكر، قال القرطبي: وهذا أول دليل على كمال شجاعة الصديق رضي الله عنه لأن الشجاعة هي ثبوت القلوب عند حلول المصائب ولا مصيبة أعظم من موت رسول الله فظهرت عنده شجاعة الصدّيق وعلمه رضي الله عنه.

ورُوي أن بلالا رضي الله عنه كان يؤذن بعد وفاته وقبل دفنه فإذا قال: أشهد أن محمدا رسول الله ارتج المسجد بالبكاء والنحيب.

وكانت وفاته يوم الاثنين في شهر ربيع الأول سنة 11 هـ قمرية بلا خلاف، واختلف في أي الاثنين كانت وفاته فقال فقهاء الحجاز: إن رسول الله قبض يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الأول، وقال الواقدي: توفي يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، ودُفن من الغد نصف النهار حين زاغت الشمس وذلك يوم الثلاثاء، وكان عمره ثلاثا وستين سنة قمريّة، ورثته عمته صفية، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأبو بكر، وحسان بن ثابت وغيرهم.

وغسلوه وعليه قميصه يضعون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص غسله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه والماء من بئر غرس التي بقباء، وكان العباس وابنه الفضل يعينانه في تقليب جسمه الشريف وكفنوه في ثلاثة أثواب بيض من القطن ليس فيها قميص ولا عمامة، ولما فرغوا من جهازه وُضع على سريره في بيته ثم دخل الناس عليه أرسالا أي جماعات متتابعين يصلون عليه وحفر له في المكان الذي توفي فيه بعد أن رفعوا فراشه الذي توفي عليه وفرش عليه قطيفه كان يلبسها ويفترشها، قال أبو بكر رضي الله عنه: سمعت رسول الله يقول: «ما مات نبيٌّ قط إلا يُدفن حيث تُقبض روحه»، قال عليّ: وأنا أيضا سمعته، وكان المباشر للحفر أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه، حفر لحدا في موضع فراشه حيث قبض، ونزل في قبره عمه العباس وعليّ والفضل وقثم بن العباس رضي الله عنهم، ورش قبره بلال بقربة بدأ من قبل رأسه وجعل عليه من حصباء العرصة حمرا وبيضا ورفع قبره عن الأرض قدر شبر.

ولا يفوتنا أن نذكر أن المنافقين أكثروا من التحدث بتأمير أسامة حت بلغ رسول الله فخرج وهو مريض عاصبا رأسه من الصداع فرد عليهم، ومما قاله في هذا الشأن: «قد بلغني أن أقواما يقولون في إمارة أسامة ولعمري لئن قالوا في إمارته لقد قالوا في إمارة أبيه من قبله وإن كان أبوه لخليقا للإمارة وإنه لخليق لها فأنفذوا بعث أسامة»، وهذا يدل على أن رسول الله كان مهتما لآخر لحظة في حياته ببعث أسامة وبشؤون المسلمين وتوحيد كلمتهم.

وقد توفي رسول الله ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وما ترك دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا، عن عائشة رضي الله عنها: «ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي فأكلت منه حتى طال عليّ فأكلته ففني فيا ليلتني لم آكله»، وروى الترمذي عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، توفي رسول الله ولم يشبع هو ولا أهل بيته من خبز الشعير، وما ترك رسول الله إلا سلاحه وبغلته وأرضا جعلها صدقة.

كانت حجة الوداع هي الحجة الوحيدة التي أداها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد البعثة وقد قال فيها خطبته الشهيرة يجب أن يحفظها كل طالب علم، ومما جاء فيها أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، وحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت، فمن لديه أمانة فليؤدها إلى من إئتمنه عليها،أما بعد أيها الناس، فإن الشيطان يئس لن يعبد في أرضكم هذه أبدا، ولكنه إن يطلع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروا على دينكم وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، أمرا بينا، كتاب الله وسنة نبيه، أيها الناس، اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت؟ و بعد ذلك توفي الرسول صلى الله عليه وسلم هكذا أكملوا الدعوة الاسلامية